المطلب الثالث

الحذف والزِّيادة والمغايرة الصَّوتيَّة

علىٰ سبيل الإجمال دون التَّفصيل الذي يقضي بالتَّعريف بالمصطلحات الواردة تحت هذا العنوان العام ذكر المؤلِّف أنَّه أمام ظواهر ثلاث مؤكِّدًا علىٰ كثرتها في قراءة الحسن البصرىٰ، وذلك من خلال بعض الصُّور الخاصة بهذه الظَّواهر والتي يمكن تحقيقها ودراستها من خلال خمسة محاور، أوكما نصَّ تدرس من خلال الموضوعات الآتية: التَّنوين -ويقصد بذلك حذف الصَّوامت-، والحركات -ويقصد بذلك حذف الصَّوائت-، والهمزة، وتاء الافتعال، والحروف المقطعة في بدايات السُّور، ولكن بشيء من التَّفصيل الموجز نعرض لكل ظاهرة علىٰ حدة من المحاور التي ذكرها مع التَّغيير فيها حسبما يقتضي المقام وذلك في ستَّة محاور:

1- الحذف والزِّيادة:

أ- في باب الصَّوامت: فالحذف هو عبارة عن إسقاط يتعرض له الصَّوت الصَّامت في العربيَّة مع بقاء الكلمة علىٰ دلالتها عملاً بالاختلاف اللهجي أواختلافها.

وقد نبَّه القدامي إلىٰ هذه الظاهرة في مُصَنَّفاتهم، وعلىٰ سبيل المثال ذكر سيبويه: «اعلم أنَّهم ممَّا يحذفون الكلم، وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوِّضون ... فممَّا حذف في الكلام وأصله غير ذلك: لم يك، ولا أدر، وأشباه ذلك»[1].

وقد ذكر المؤلِّف قراءتين للحسن بالحذف وهما: ﴿ضَنكًا﴾ [طه: 124] من

(1) السابق 1/ 24، 25.

غير تنوين وكان يميل الألف فيها، وحذف التَّنوين في قوله تعالىٰ: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: 83] لتصبح الكلمة مؤنثة (حسنىٰ)، وفي هذين المثالين يؤكِّد علىٰ تغيير البنية والدَّلالة التي تتعرض لها الكلمة نتيجة للحذف، وفي الوقت نفسه يقول بأنَّ الحذف في بعض الأحيان قد لايؤدِّي إلىٰ تغيير الدَّلالة مع تغيير البنية عملاً بالتَّوسع اللهجي، ومع ذلك فقد قرأ الحسن بعدم الحذف في بعض الأحيان كما في ﴿رَٰعِنَا﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ [البقرة: 104] فقد قرأها بنونين، والمؤلِّف يشير بذلك إلىٰ ظاهرة الزِّيادة التي تعني زيادة الصَّامت في هذا الباب.

ب- الحذف والزِّيادة في باب الحركات: ذكر المؤلِّف في هذا البحث ثلاثة أمثلة دلَّل من خلالها علىٰ حذف حركتي -الضَّمة والكسرة- بعضها خاص بعين جمع الإناث، وذلك مثل: ﴿ظُلُمَٰتٖ﴾ [البقرة: 17] و ﴿خُطُوَٰتِ﴾ [البقرة: 168] -، وكذلك قرأ بتسكين عين بعض الكلمات المفردة وبعض جموع التكسير مثل: (﴿دُبُرَهُۥ﴾ [الأنفال: 16] ﴿وَزُلَفٗا﴾ [هود: 114] و ﴿فَنَٰظِرَةٞ﴾ [البقرة: 280]، وسواء أكانت العين مضمومة أم مكسورة، فإنَّ تسكينها مما جرىٰ به اللسان العربي، ودلَّل علىٰ صدق ذلك ببعض النُّصوص.

وعن الزِّيادة ومن خلال أربعة أمثلة ذكر المؤلِّف قراءة الحسن بتحريك عين ﴿بَغۡتَةً﴾ [الأنعام: 31] حيث وقعت، وبتحريك العين بالفتح في ﴿ٱلۡبَعۡثِ﴾ [الحج: 5]، وبتحريك الدَّال بالضَّم في ﴿وَٱلۡبُدۡنَ﴾ [الحج: 36]، وقرأ بضمِّ الشِّين في ﴿ٱلرُّشۡدُ﴾ [البقرة: 256]. وناقش في هذه المسألة مَنْ يعتقد أنَّ ذلك خاصٌّ بالكلمات التي عينها حرف حلقي معتمدًا علىٰ ما ذكر من أمثلة، إضافة إلىٰ الخلاف بين القدامىٰ والمحدثين في بيان مخارج الأصوات الحلقيَّة، ولكنَّه لم يناقش في باب الحذف تخفيف الفتح مع أن الحسن قرأ به في (زُلَفًا) كما ذكر المؤلِّف وهو صوت لايحتاج إلىٰ مجهود صوتي كغيره، وقد وردت كثير من النُّصوص الصحيحة الفصيحة التي تحمل عنوان هذا التَّخفيف؛ لذلك نردِّد عبارة ابن يعيش أنَّه: «لا

أخف من الفتحة إلا السُّكون»[1]، كذلك فالفتحة حركة وإثباتها إثبات لتلك الحركة، وسكونها سلب لها، وأيضًا «الفتحة شروع في ألف، والضَّمة شروع في واو، والكسرة شروع في ياء، أما السُّكون فليس شروعًا في حرف آخر، فالحرف إذا نطقنا به محركًا فقد نطقنا بحرف وشرعنا في آخر، وإذا نطقنا به ساكنًا لم ننطق إلا بذلك الحرف، إذًا فالحرف المتحرك حرف وبعض حرف، والحرف السَّاكن حرف فحسب، والحرف وبعض حرف أثقل من الحرف وحده، إذًا فالسُّكون أخفُّ من الحركة، ولو كانت الحركة فتحة»[2].

2- باب المغايرة الصَّوتيَّة:

قد يأتي باب المغايرة في باب الأبنية وقد يكون في جانب الإعراب، وبيان ذلك علىٰ النحو الآتي:

أ- تغيير حركة البناء: ذكر المؤلِّف مثالاً واحدًا نصَّ من خلاله علي ذلك في لفظة: (أَذِّنْ) في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [**الحج**: **27**] فقد قرأها الحسن: (وآذِنْ) بمد الألف، وتخفيف الذَّال المكسورة علىٰ الأمر بوزن فاعل، وناقش ابن جنِّي قراءة الحسن التي جاءت علىٰ صورة الماضي ورجَّح القراءة بصورة الأمر؛ وذلك بكونها لا تحدث إشكالاً في نسق التَّركيب القرآني، فكونها علي صورة الماضي تصبح جملة معترضة ولا وجه للاعتراض هنا.

ب- تغيير حركة الإعراب: من خلال مثال واحد ذكر المؤلِّف هذا الباب، فقد قرأ الحسن: ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [**الحج**: **35**] بنصب الصلاة، وقرأ الجمهور بجرِّها، والظَّاهرة لها بعدان أحدهما صوتي، والآخر نحوي. أما البعد الصَّوتي فيتمثَّل في المخالفة بين «المقيمي» التي تنتهي بحركة، هي ياء المدِّ، و«الصلاة»

(1) شرح المفصل 1/ 124.

وينظر: المقتضب للمبرد. تحقيق. محمد عبد الخالق عضيمة1/ 117 - عالم الكتب - بيروت.

(2) في الإعراب ومشكلاته د. أحمد علم الدين الجندي ص125. نقلاً من: ظاهرة التخفيف في النحو العربي د. أحمد عفيفي ص228 - الدار المصرية اللبنانية 1995م.

التي هي في الأصل مجرورة لأنَّها مضاف إليه، فلما نصبت حدثت المخالفة الصَّوتيَّة. وهي عكس المماثلة وهي: تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور ولكنه تعديل عكسي يؤدِّي إلىٰ زيادة مدىٰ الخلاف بين الصَّوتين[1]، وأما البعد النَّحوي فغريب أنَّ بعض العلماء قد لحنوا هذه القراءة كابن جنِّي؛ لأنَّها تخالف المحفوظ من بعض قواعدهم، وقد ناقض ابن جنِّي نفسه عندما سوَّغ ذلك في مواضع أخرىٰ.

3- الهمزة في هذا الباب قرأها الحسن بثلاث صور:

أ- الحذف وهو: سقوط الهمزة من الكلام دون التَّعويض عن سقوطها بشيء[2].

وقد مثَّل المؤلِّف لهذا الباب من خلال مثال واحد وهو: ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ **[الحشر: 3].**

ب- الزِّيادة: قرأ الحسن: (الرِّبَاء) **[البقرة: 275]** بدلاً من ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ وهي لغة.

وكلا الصُّورتين وارد وصحيح في العربيَّة، فالحالة الأولي فالهمزة المتطرفة تسقط إذا كانت مسبوقة بصوت مدٍّ أمامي (ألف المد أو ياؤه)، مع كونها في المقطع الأخير من الكلمة، والحالة الأخرىٰ فمسوِّغها الصَّوتي أنَّ العرب كانوا يميلون إلىٰ إغلاق المقطع المفتوح الذي يكون في المقطع الأخير بصور شتَّىٰ من صور الإغلاق التي يألفها اللسان العربي، وربَّما همزت العرب ما لايهمز.

ج- الإبدال وهو لايعني هنا التَّحويل إلىٰ حركة كما في الصُّورة التي بعده بل هو هنا خاصٌّ بإبدال الخبر إلىٰ استفهام، ومن خلال ثلاثة أمثلة عرض المُصَنَّف لقراءة الحسن منها: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ **[الأحقاف: 20].**

د- قلب الهمزة إلىٰ حركة: وهو يعني بذلك حقيقة الإبدال الذي يعني:

(1) دراسة الصوت اللغوي ص384.

(2) السابق الصفحة نفسها.

سقوطها من الكلام والاستعاضة عنها بإطالة صوت اللين قبلها، فكأنَّها كالمشكَّلة بالسكون[1].

وتوضيح ذلك بقراءة الحسن: ﴿أَنۢبِئۡهُم﴾ [البقرة: 33] بالحركة الطويلة بدلاً من الهمزة مع كسر الهاء، وحقيقة هذا التغيُّر من النَّاحية الصَّوتيَّة، أنَّ الهمزة تقلب إلىٰ كسرة، لتماثل الكسرة التي قبلها.

4- تاء الافتعال:

من خلال مثالين عرض المؤلِّف لهذا الباب الخاصِّ بقراءة الحسن: ﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ﴾ [الممتحنة: 10]، و﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ﴾ [محمد: 38] بحذف تاء المطاوعة وبقاء تاء المضارعة؛ لأنَّ حذفها يخلُّ ببنية الفعل المضارع.

5- الحروف المقطعة في أوائل السور:

من خلال ثلاثة أمثلة عرض المؤلِّف لقراءة الحسن بتحريك الحرف الأخير، وهي: ياسين، وصاد، وقاف، ومع ذلك قرأ طه بتسكين الهاء، أي طأ الأرض بقدميك، وإبدال االهمزة إلىٰ هاء وارد وصحيح في العربية فكلاهما صوتان حنجريَّان.

وقد أغلق المؤلِّف بحثه دون أن ينصَّ علىٰ تلك النَّتائج التي تعتبر خلاصة ما كتب وما قدَّم من جهد، وكأنَّه قد اكتفي بما فصَّل القول فيه أثناء المعالجة أو بما ذكره في ملخص بحثه، ولكن هذا لا يكفي، فمن هنا ندوِّن في سطور ونقاط بعض هذه النتائج:

1- تتنوَّع الظَّواهر الصَّوتيَّة وتختلف ولكن الإتِّباع الصَّوتي والإدغام وفكِّه والحذف والزِّيادة والمغايرة الصَّوتية هي عناوين هذا البحث.

2- لامجال للإتِّباع الصَّوتي بين الصَّوامت في القراءات القرآنيَّة ولكن الإتِّباع بين الصَّوائت موجود وبكثرة في قراءة الحسن البصري، تلحظ ذلك في إتباع حركة

(1) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص88- دار الأنجلو المصرية 2007م.

الإعراب لحركة البناء، وصلة ميم الجمع إتباعًا، وكسر نون (مِنِ) إتباعًا وفي كل مسألة يناقش آراء القدامي ويربط ذلك بالدَّرس اللغوي الحديث.

3- في مطلب الإدغام وفكِّه ذكر فوائد الإدغام ولكنَّه ركَّز علىٰ تغيير البنىٰ المقطعيَّة وتوضيح ذلك بأمثلة من قراءة الحسن البصري، ثم أشار إلىٰ فكِّ الإدغام عنده وبيَّن أنَّه لغة أهل الحجاز، وفي ختام هذه المسألة ذكر أنَّ اختيارات الحسن في مسائل الإدغام موافقة لفصيح اللسان العربي.

4- قد يقرأ الحسن بالحذف وقد يقرأ بالزِّيادة مع تغيير الدَّلالة أو اتِّفاقها، وقد تكون المغايرة في جانب الأبنية وقد تكون في جانب الإعراب وتوضيح ذلك بالأمثلة.